بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين .

عن مبدأ الشورى في الإسلام

مقدمة

كان الناس قبل الإسلام يرون أنفسهم أنهم قد خُلقوا ليطيعوا السادة الحاكمين طاعة عمياء فحسب، فليس لهم من أمرهم حق النظر في سلام أو حرب أو في إبرام أو نقض.. فهم مخلوقون حسب معتقداتهم التي أُشربوها جيلا عن جيل وأب عن جد، للعمل والخنوع أمام السادة النبلاء والإقطاعيين من رجال الدولة والدين والذين يرجع إليهم وحدهم توجيه الرعية بما يشاؤون وإلى حيث يشاؤون وفق أهوائهم الضالة الجائرة المستغلة ونزواتهم البهيمية الوحشية.. فالسادة لا يخطئون أبدا وعلى من سواهم الطاعة كما قلنا وكفى.. لا يجرؤ على معارضة سيده لأنه لا يُسأل عما يفعل والعبيد يُسألون.. شأن هؤلاء الحاكمين المتسلطين على رقاب المستضعفين بل حتى على إراداتهم وقدراتهم الفكرية والمادية والنفسية.. شأن هؤلاء شأن الإمبريالية العالمية اليوم وعلى وجه الخصوص الصهيونية العالمية التي تفرض هيمنتها على سائر شعوب الأرض باسم الديمقراطية وتحرير الشعوب وحمايتها مما يعارض مصالحها وتسميه " الإرهاب ".. الإرهاب الذي يرفض الاستعمار، والذي يرفض العولمة الفتاكة والذي يرفض أن تنسلخ الأمة من أصالتها ويحث على الرجوع إلى مبادئ ديننا الحنيف.. فالحق لهذه " التماسيح " وحدها في التوجيه والقيادة وعلى من سواه الخضوع طوعا أو كرها.. فتراهم يا سبحان الله يثيرون الشفقة في النفوس الضعيفة حينًا بقولهم: نحن شعب بلا أرض، شعب مضطهد مقهور وآن له أن يسعد بعد شقائه الطويل.. ويضمرون في نفوسهم أنهم يسعون وراء هذه الغاية مهما كلَّفت من أثمان وأزهقت من أرواح. سعادة على جماجم البشر... وتراهم حينا آخر يحرضون الشعوب بالإغراء أو القمع على اتباعهم حين يصرحون أمام رؤوس الأشهاد أنهم " شعب الله المختار ".. ويضمرون في نفوسهم أيضا ويجحدون وينكرون أنهم كانوا نتيجة لعنة رب العالمين لأنهم كما قال عنهم جل عُلاه في سورة المائدة: ﴿كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ﴾(الآية / 79)، وقال أيضا

في نفس السورة: ﴿كلّما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين ﴾(الآية/ 64) .

نعم يصرحون أنهم شعب الله المختار وأنهم بلا أرض وأنهم وأنهم... ويخفون في نفوسهم تلك الويلات والنكبات التي عرفتها البشرية منذ ظهورهم على وجه الأرض والتي كانوا فيها الطرف الرئيسي.. وبالرغم من هذا كلّه ترى السُّذج من الرعايا ينصتون إليهم وكلهم آذان صاغية، ويثقون فيهم بلا حدود ولا شروط وتراهم يُسيَّرون كما تُسيَّر الأنعام السائمة إلى حتفهم ولا يشعرون.. ومن هذه الأمم أمتنا الغالية، أمتنا الإسلامية التي أصبحت وآسفاه كثيرة كغُثاء السيل من جراء انحرافها عن دينها القويم وعزوفها عن الجهاد المقدس تحت ستار حقوق الإنسان وحرية الفرد والعدالة الاجتماعية والديمقراطية الحالقة وما إلى ذلك من الشعارات الجوفاء التي إن نفعت أُضرت قبل أن تنفع.

ثم أعلم رحمك الله أن ما نقرأه في تواريخ الرومان واليونان من تكوُّن المجالس الشورية وتأليف النظامات الدستورية لم يكن في حقيقته إلا نوعا من الاستبداد، إذ السلطة فيها كانت لا تزال وقفا على طبقة الأقوياء الحاكمين الذين يقنِّنون لأنفسهم ما يشتهون . أما عامة الشعوب فكانوا على ما كانوا عليه قبل قيام تلك المجالس والجمهوريات فليس لأحد منهم الحق في إبداء رأي يعارض رأي السادة ولو كانت غايته تقويم اعوجاجهم وهل كانت المجالس الشورية في " أثينا " و " روما " إلا من حظ طائفة الأشراف النبلاء دون سواهم، فحينًا كانوا يستبدون بالناس جميعا وحينًا آخر يكونون آلة في يد الحاكم الفرد، يسوق العامة بعصاه إلى حيث أراد. فلما جاء الإسلام الحنيف قلب هذا النظام رأسا على عقب وجعل لكل فرد حق الرقابة على الحكومة وإبداء الرأي في الشؤون العامة، فقال تعالى في سورة سميت بالشورى لرفعة مكانتها وبليغ أثرها في كل ميادين الحياة عند المسلمين على وجه الخصوص قال سبحانه:﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ (الآية/ 38)، وفي سورة آل عمران يأمر الله تعالى نبيه الكريم أن يستغفر لأصحابه ويعفو عنهم ويشاورهم في كل أمر من أمور معاشهم والتي لم يفصل فيها وحي السماء فإذا فصل فيها فلا اجتهاد ولا شورى..

الشيخ الطاهر بدوي